ترجمة راهبات دير سيّدة البشارة

في الأهواء

للأرشمندريت إميليانوس
رئيس دير سيمونوبيترا

منشورات دير سيّدة البشارة– حلب
الدراسات اللاهوتية والثقافية
2010

في الأهواء

للأرشمندريت إميليانوس
رئيس دير سيمونوبيترا

ترجمة راهبات دير سيّدة البشارة

ص.ب. 4040 حلب- سوريا

هاتف المكتبة 4462221 (21 963+)

موبايل 0988/099238

e-mail: bookstore@alepporthodox.org

© جميع الحقوق محفوظة– الطبعة الأولى 2010

مطبعة باب توما– دمشق

تمت الترجمة عن:

ΠΕΡΙ ΠΑΘΩΝ, Αρχ. Αιμιλιανού Σιμωνοπετρίτου, ΙΝΔΙΚΤΟΣ, ΑΘΗΝΑΙ 2008.

مقدمة

تعطينا دار النشر Ινδίκτος الكريمة، هذه السنة أيضاً إمكانية نشر عظةٍ مختارة للأرشمندريت إميليانوس بعنوان "في الأهواء"،

التي ألقاها في جامعة كسانثي بعد خدمة غروب السبت في الثالث من شهر نيسان عام 1982.

إنّ هذا الموضوع هامٌّ جداً لأنّ الحديث عن الأهواء يصحُّ في كلّ وقتٍ كما يقول آباء البرية: "الطريق الذي يقود إلى ملكوت السماوات". يساعدنا الأب إميليانوس من خلال هذه العظة في اكتشاف عظمة الإنسان من حيث أنه "الكشف الأعظم عن الله وعن محبته وجبروته".

إنّ الأهواء هي كالقوى المحرّضة داخل الإنسان، فرفض الله وتأليه الذات ليس إلا تحويلاً لهذه القوى من قوى محيية إلى قوى مُهلكة للنفس، عندها يتحوّل الإنسان إلى صنمٍ معجبٍ بنفسه وعابدٍ لها، وتغدو خطيئتُه العزلةَ والحرمان من الشركة، وتصبح الخطيئة كالنفَس الذي يستنشقه، أما بقاؤه في حالة عدم التوبة فيجعله كالأعمى عاجزاً عن رؤية محبة الله.

إنّ الأهواء كما يقول الأب إميليانوس، منذ آدم وحتى يومنا هذا ما هي إلا اعترافٌ صريحٌ برفض الله ومقاومةٌ لإرادته ومشيئته، وتعبيرٌ يعكس حركة قلب وذهن الإنسان الذي يحاول أن يؤكّد لذاته أنه قادرٌ على العيش بعيداً عن جابله. يدلّنا الأب إميليانوس إلى

الطريق التي تعيدنا إلى الله. إنّ الرغبة في رفض الهوى والاعتدال في ممارسة النسك والهدوء، يشكّلان المرحلة التحضيرية وبداية الطريق لتنقية الذات واقتناء موهبة اللاهوى والتي هي هبةٌ من هبات الله للإنسان.

إنّ من يقودنا في جهادنا ضد الأهواء هو المسيح نفسه الذي هو "عريسُ دمٍ"، مجده هو دمه الذي سكبه لأجلنا. يقودنا في جهادنا هذا أيضاً شخصٌ آخر، وهو الأب إميليانوس الذي، من خلال إرشاداته وعيشه الاستشهادي، يفتح لنا الأبواب لنحيا حياة اللاهوى. فلنقتفِ آثارهما بمحبةٍ وإكرامٍ من أعماق القلب.

الأرشمندريت اليسيوس رئيس دير سيمونوبيترا

14 حزيران 2008

عيد النبي أليشع

في الأهواء*

ذهب مرّةً أحد النسّاك إلى الأب بيمين، لكي يراه ويسمع أقواله، وعندما وصل إليه بعد مسيرةٍ طويلة، بادره الحديث عن

* محاضرة ألقيت في جامعة كسانثي، 3 نيسان 1982.

ملكوت السموات، لكنّ البارّ بيمين أدار وجهه وجلس دون حراكٍ ودون أن ينطق بكلمةٍ واحدة. أما الزائر الذي كان قد قطع تلك المسافة الطويلة لكي يرى الأب بيمين، فغادر حزيناً يائساً، لكنه بعد قليلٍ عاد إليه وقال له: "عذراً أيها الأب، أسألك أن تحدّثني عن الأهواء". عندها أجابه البارّ: "إن أردت أن نتحدّث عن الأهواء، فافتح لي قلبك وأنا سأملؤه بالخيرات". وبالفعل فتح الناسك حينها قلبه وأصغى لحديث البارّ، وبينما كان يودّعه قال له: "بالحقيقة، هذا هو الطريق المؤدّي إلى ملكوت السماوات"[1].

نادراً ما يفكّر الناس هكذا، لكن بالفعل، فإنّ الحديث عن الأهواء يقود إلى ملكوت الله، لأنّ الأهواء ظهرت، كما نعلم، بعد أن فقدنا ملكوت الله. ولكي نفهم الموضوع بشكلٍ أفضل يفيدنا أن نعود بذاكرتنا إلى الوراء قليلاً. قد تكون عودتنا هذه متعبةً لكنها ضرورية، ذلك لأنّ موضوعنا عميقٌ جداً.

* * *

[1] *Αποφθέγματα Γερόντων, αββά Ποιμένος* 8, *PG* 65, 321B-324B.

توجد الأهواء داخل الإنسان. طبعاً قبل أن يخلق اللهُ الإنسانَ، كان قد خلق مسبقاً كلّ شيءٍ "حسناً جداً"[1]، بحيث يأتي الإنسان إلى عالمٍ رائعٍ لا ينقصه فيه أيّ شيءٍ، فيكون فَرِحاً وراضياً. هناك في الفردوس، كان الله يتمشّى مع الإنسان الأول ويتحادث معه صباحاً ومساءً، بل ومراتٍ أخرى عديدةٍ. كان الفردوس مكانَ اللقاء الإلهي، الطريقة والأداة التي ستساعد الإنسان في معرفة الله أكثر، وفي معرفة كيف سيصبح "شريك الطبيعة الإلهية"[2].

كان لكلّ المخلوقات، منذ ذلك الحين وحتى اليوم، هدفاً واحداً فقط، وهو خدمة الإنسان، وعدا ذلك ليس لها أية أهميةٍ. كلّ الخليقة العاقلة وغير العاقلة هي أوانٍ تملؤها محبة الله، مرايا جمعت داخلها أنواراً صغيرةً من النور الإلهي، فإذا بها تعكس روعة وعظمة وحكمة الله. كلّ ما نراه في الكون ليس إلا إشارةً إلى الله، أما الكشف الأعظم عن الله وعن محبته وجبروته فهو الإنسان، ملكُ الطبيعة العظيم، والذي جُبِل ليحني رأسه فقط لربّ السماوات.

---

[1] تك 1، 31.

[2] 2بط 1، 4.

كانت البيئة التي يعيش فيها آدم تتألف منه ومن حواء، أي الإنسان، ومن الله ومن الخليقة غير العاقلة. لكنّ هذا الإنسان الذي كان يتبادل النور والحياة مع الله، فضّل في لحظةٍ أن يخسر الله، لكي يصبح هو نفسه إلهاً. هكذا أصبح آدم المتمرّد، الذي قال لله: "لماذا تكون أنت الله ولا أكون أنا؟"، أصبح وحيداً، حزيناً وبائساً، بعد أن كان هانئاً وسعيداً. ابتعد عن الله وعن حماية ذاك الذي كان صاحباً وصديقاً ومحادثاً له. سيطر عليه الخوف، وتملّكه شعورٌ رهيبٌ بالغربة عن الفردوس الذي كان الله قد خلقه لأجله. أصبح الآن شقياً، ووجد نفسه مضطراً لأن يتعب كثيراً وأن يسيل منه العرق أنهاراً لكي يحصل على ما يريد، ومع ذلك فإنّ ثمار أتعابه كلّها كانت دون طعمٍ.

انقطعت علاقته مع الله، وغدت نظرة الله إليه مصدر موتٍ بعد أن كانت نبع حياة. لكنّ ثمة رجاء كان يمسّ قلبه مخبراً إياه أنه سيخلص يوماً ما.

ثارت الطبيعة كلّها ضدّ الإنسان، إذ شعرت أنّ سيّدها وملكها السابق قد أصبح الآن عدوّاً لها. فاعتصر الألمُ قلبَه ولم يعد يجد تعزيةً في أيّ شيءٍ مما حوله، فقدَ توازنه وفرحه، فقدَ الله. الشيء

الوحيد الذي بقي لديه هو تراب الأرض، الذي كان يتوجب عليه أن يحرثه. لم تتوقّف هذه الخسارة إذاً عند آدم فقط، إنما امتدّت لتشمل الجنس البشريَّ بأكمله. وهكذا أصبح الإنسان خاطئاً يائساً منذ اللحظة التي قال فيها لله: "ابقَ أنت بعيداً، وأنا سأتدبّر أموري لوحدي". ولم يدرك أنه بفعله هذا فرض على نفسه أن يكون عبداً، وصار لا يفعل ما يريد إنما ما لا يريد. أصابه شيء من الانفصام الداخلي، اضطرب قلبه وتشتتت حياته، كالماء الذي ينسكب فيتناثر هنا وهناك، ولم يعد بمقدوره أن يتحكم بذاته. في كلّ هذا كان يشعر بعداوةٍ تجاه الله، ظنّاً منه أنه السبب في كلّ ما آلت إليه حاله.

إنّ عجزه عن التحكم بذاته من جهةٍ، وحقده على الله من جهةٍ ثانيةٍ، كانا أمرين جديدين اقتحما حياته الجديدة، ففقد بذلك القدرة على الخلاص.

أصبحت الخطيئة جزءاً لا يتجزأ من جسده ومن روحه، وغدا الأنين والتأوّه وكلّ ما يخرج من أعماقه، هي أهواؤه. علّه يحصل بذلك على شيءٍ من الراحة. أخذ يحاول، من خلال أهوائه، أن يشعر بالحياة في داخله. لكن ليس في الأهواء حياةٌ، بل موت. هكذا، أغلق الإنسانُ بيده بابَ العودة إلى الله.

أين ذهبتْ تلك العطايا التي خصّه وزيّنه بها الله؟ أين ذهب الفرح؟ أين الذكريات الجميلة لتلك اللحظات الرائعة التي كان يقضيها مع الله؟ أضاعها كلّها! وأضاع الله معها!... الآن "تخضع نفسه لسلسلة من الظلمات"، كما يقول أحد الآباء[1].

والآن كيف يمكن للإنسان أن يخلص؟ كيف يمكن له أن يتحرّر من ظلمة الأهواء؟

لكي يتحرّر منها وجب عليه أن يرغب بذلك أولاً، لأنّ الله خلق الإنسان وأعطاه الحرية المطلقة، فهو لا يستطيع أن يغصبه.

أمضى السيد المسيح ثلاث سنواتٍ مع تلميذه يهوذا الذي أسلمه. كان السيد عالماً بأنه سيسلّمه لكنه مع ذلك عامله دائماً بمحبة، أما يهوذا فقد اختار بحرّيته نهايته. هكذا أيضاً اختار الإنسان الأول بحرّيته هلاكَه، لذلك كان عليه أن يختار هو أيضاً خلاصه، لكنه لم يكن قادراً على ذلك ولم يكن يعرف كيف وماذا يجب أن يفعل...

[1] Μακαρίου Αιγυπτίου, *Ομιλίαι πνευματικαί* 21, 2, *PG* 34, 656D.

ماذا فعل الله؟ أصبح الله إنساناً كاملاً بلا خطيئة. أخذ الطبيعة البشرية لكي يرفعها معه إلى السماء. لقد خسر الإنسانُ الفردوسَ الأرضيّ، لكنّ المسيح تجسّد ليقدّم له فردوساً سماوياً. تَجَسّدَ اللهُ، لكي يستطيع الإنسان أن يكتسب ألوهة يسوع المسيح.

ومنذ ذلك الحين أصبح بمقدور الإنسان أن يتحرّر من أهوائه. لكن كيف؟

* * *

قبل كلّ شيءٍ، وكما ذكرنا سابقاً، يجب على الإنسان أن يرغب من كلّ قلبه بالتحرّر من أهوائه. إذا لم أرغب أن أتخلّص من أحد أهوائي، فمن المستحيل أن يذهب عني هذا الهوى. "الرغبة والإرادة هما بداية طريق الخلاص"، كما يقول الأنبا ذوروثيوس[1]، وهما الشرط الأول للسير نحو الله.

كيف أعبّر عن رغبتي في التخلّص من أحد أهوائي؟ لنَقُلْ على سبيل المثال أنّ لديّ هوى الكسل أو الكبرياء أو حبّ المال، كيف سأُظهر لله أنني أرغب بالتحرّر من هذا الهوى؟

[1] *Διδασκαλία* 10, *Μετά σκοπού και νήψεως οδεύειν την οδόν του Θεού, PG*. 88, 1724D.

عليّ أن أرفض هذا الهوى وأن أكون على يقينٍ أنّ الهوى "عداوةٌ لله"[1]، وبالتالي أن أسعى لعمل ما يرضي الله.

لكي نفهم أكثر، نعطي مثالاً من الحياة الرهبانية. لماذا يذهب أحدنا إلى الدير؟ لأنه المكان الذي يحافظ فيه على ذاته نقياً، بعيداً عن المشاكل والعوائق والصعوبات العالمية. يذهب إذاً الراهب إلى الدير لكي يتطهّر من أهوائه ويرضي الله.

أوّل شيءٍ يطلبه من رئيس الدير هو أن يعطيه قانوناً خاصّاً به، إن لم يعطه يشعر أنّ رئيس الدير لا يهتمّ لأمره. وما هو القانون؟ إنه الطريقة اليومية التي ستساعدني لأعيش حياة اللاهوى. نستطيع القول، أنّ القانون بمثابة التنفس لرئتيّ الروحيتين، فكما أنّ عملية التنفس ضروريةٌ لرئتيّ لكي أعيش، هكذا أيضاً هو القانون لرئتيّ الروحيتين. والقانون لا يخصّ الرهبان فقط بل هو أيضاً للعلمانيين ولكلّ من يريد أن يسلك طريق اللاهوى. يتمّ القانون بالقيام بصلواتٍ وبقراءة كتبٍ روحيةٍ معيَّنة.

---

[1] رو 8، 7.

يُتحِد القانونُ الإنسانَ مع الله، لذلك لا يجب أن نهمله، بل علينا أن نقوم به كلّ يومٍ. فكما أنّ الإنسان يختنق عندما يُغلق أنفه وفمه، هكذا أيضاً يحدث مع من يُهمل قانونه. القانون مثل الزيت الذي نضعه للقنديل لكي نشعله، القنديل هو حياتنا، وإشعال القنديل يمثّل علاقتي مع الله. فإذا مرّ يومٌ لم أضع فيه زيتاً للقنديل أي لم أقم بقانوني، فإنه سينطفئ، أي أنّ علاقتي مع الله ستذبل وتتلاشى. هل تعلمون ماذا يحدث عندما ينطفئ القنديل؟ تشتمّ الفأرة رائحة ما بقي من الزيت داخله وتأتي وتأكل الفتيل. وماذا يحدث آنذاك؟ توقع القنديل وتكسره. هكذا تتكسّر وتتشتّت حياتي عندما لا أتنفّس الله. فأيُّ طعمٍ لحياتي حينها! لهذا يجب على كلّ واحدٍ منا أن يكون لديه، بالاتفاق مع أبيه الروحي، قانوناً يومياً.

القانون اليومي إذاً هو علاقتي مع الله، أتكلّم معه، أتمشّى معه كما كان آدم يتمشّى معه في الفردوس.

لكي أقوم بالقانون، أي لكي تكون رغبتي في اكتساب اللاهوى صادقةً، يلزم أن يكون حبّي لله وشوقي إليه كبيرين، وأن يكون فرحُ قلبي كبيراً دائماً وفي كلّ الظروف، ذلك لأنّ النفس لكي ترتبط بخالقها بذلك العشق الإلهيّ يجب أن تكون مليئةً بالفرح على

الدوام. يمرض أحدٌ على سبيل المثال فيمتلئ قلبه بالحزن والقلق، بينما يتوجّب عليّ أن أفرح دوماً مهما حدث لي، فطالما أنّ الله يحيا فيّ وأنا أحيا فيه فما من شيءٍ يمكنه أن يفصلني عن الله.

بالإضافة إلى الفرح هناك ثلاثة أمورٍ ضروريةٍ تلزمنا لكي نتحرّر من أهوائنا...

الأمر الأول، هو التوبة. ماذا تعني التوبة؟ تعني أن أشعر وأن أومن أني خاطئٌ وأني أرغب أن أتغيّر. فإذا لم نؤمن أننا أسوأ الناس لن نكون قادرين على الوصول إلى اللاهوى.

التوبة، إذاً هي الشعور بخطيئتي، أما التوبة الحقيقية فسيمنحني إياها الله فيما بعد.

الأمر الثاني هو المحبة. ولماذا المحبة؟ عندما لا يحبّ الإنسان، يكون معادياً للآخر. كل ما يقوله له الآخر سيفعل ما يعاكسه. المحبة تعني أنّ الآخر هو المحقّ دوماً. ولكن كيف سأفهم أنا ما يريده الآخر؟ بأن أنظر في عينيه. ليست المحبة عواطف وكلماتٍ، المحبة هي أن أفضّل الآخر على ذاتي.

الأمر الثالث هو الهدوء. الإنسان المضطرب لا يمكنه أن يقوم بأيّ شيءٍ. فإذا شعرت المرأة أنّ زوجها مضطرباً وطلبت منه شيئاً،

فسوف تسمع منه كلمةً غير سارة. وإن كانت الزوجة منهكةً من طفلها ومن أعمالها وعاتبها الزوج لأنّ الطعام غير ناضج أو غير جيد، فإنها من الممكن أن تذهب وترمي ما قد حضّرته. هذه هي حالنا نحن البشر تتعب أعصابنا بسرعةٍ ولا نعود قادرين على الاحتمال، نتقلّب من ساعةٍ لأخرى. لكي أتحرّر من الهوى يجب أن أكون هادئاً سلامياً. قد أطلب شيئاً من أحدهم ويكون هو في ظرفٍ صعبٍ أو لديه عملٌ آخر أو أنه تلقّى خبراً محزناً، فيرفض مساعدتي... لا أعرف ماذا يوجد في قلب الآخر، لذلك عليّ أن أواجه الأمور بهدوء. فنحن البشر ننكسر ونقع بسهولةٍ. ألا ترون كيف تتغيّر نفوسنا ويتبدّل مزاجنا بسرعةٍ؟ تخرج لتتمشى مع أحدهم، فيتذكّر فجأةً أمراً ما يزعجه وتتغيّر ملامح وجهه. تقول له عبارةً واحدةً، فيسيء فهمها، وقد يغضب منك وربما يخاصمك. هذه هي حالنا نحن البشر، لذلك بعيداً عن الله وبدون الاتحاد به، لن نكون قادرين على اكتساب القوة الروحية. لهذا نحتاج إلى قليلٍ من الهدوء والسلام لكي نتوب ونستطيع أن نحِبّ. فعندما تكون تعباً ماذا بمقدورك أن تعمل؟

قال أحد الآباء الروحيين لشخصٍ أتى إليه ليعترف: "قل لي يا بنيّ، ماذا لديك؟". كان هذا الشخص إنساناً جدّياً، تقيّاً جدّاً، ويعترف بشكلٍ متواتر، إلا أنه في تلك المرة لم يكن لديه شيءٌ ليعترف به. فأجابه: "ليس لديّ ما أعترف به". فهل تعلمون ماذا كانت ردة فعل الأب الروحي؟ قال له: "الأفضل يا بنيّ أن تخطئ وتشعر بالتوبة من أن تشعر نفسك مبرّراً"[1]. لقد كان لإجابة هذا الأب الروحي معنىً عميقٌ جداً، ذلك لأنّ الخطيئة تقودنا إلى الملكوت عندما تدفعنا إلى التوبة، أكثر مما تقودنا فضيلتنا إليه عندما نظنّ أننا أبرار ولسنا بخطاة.

وقبل أن نجيب على التساؤل: ماذا علينا أن نفعل لكي نتحرّر من الأهواء، اسمحوا لي أن أشدّد على أمرين: نقول أننا نريد أن نقطع الهوى، ولكن لكي يكون بمقدورنا هذا، علينا أن نكون على درايةٍ كافية بكلّ ما يتعلق بالهوى. يجب أولاً أن ندرك أنّ

[1] لا يمكن فهم قول الأب حرفياً، فهو أراد أن يوضح للمعترف فكرة هامة في الحياة الروحية وهي أنّ ما يهمّ هو إدراك الإنسان لضعفه وعيشه للتوبة وشعوره بالحاجة لرحمة الله. (المترجم)

الأهواء كما سبق وذكرنا ظهرت نتيجة ابتعادنا عن الله، وثانياً أنّ الأهواء هي وسيلةٌ لكي نكتسب من خلالها التواضع. فعندما أذهب لأعترف بأهوائي وبخطاياي فإنّ هذا يمنحني تواضعاً، لهذا يمكن القول أنّ الأهواء مع أنها أمرٌ سيءٌ إلا أنها مفيدةٌ في الوقت نفسه، تساعدنا لندرك ضعفنا، ونعرف أنفسنا ونتواضع، ونسرع في طلب معونة الله. لذلك كان القديس أنطونيوس يقول: "لو رفع الله التجارب عن البشر فلن يخلص أحدٌ"[1]. لماذا؟ لأنه ما من وسيلةٍ أخرى نتّضع بواسطتها، خاصةً أننا نحن البشر متكبرون، إن لم نتألم من ثقل خطايانا صارخين: "يا إلهي إني أتألم، ساعدني".

صحيحٌ أنّ الخطيئة تفصلنا عن الله، إلا أنها ليست عملاقاً يتعذّر علينا هزمه، وكذلك الأمر بالنسبة للأهواء.

لا وجود للخطيئة بحدّ ذاتها، إنما هناك وجودٌ للفضيلة، هناك وجودٌ لله. الخطيئة ليست إلا ضعفي الذي يقودني بعيداً عن الله، فعندما أتذكر أنني إنسانٌ خاطئٌ، عندها تبتعد عني الخطيئة للحال، ويقترب مني الله. وإذا ما حاولنا مرةً ومرتين وثلاث وعشر مراتٍ أن

[1] *Αποφθέγματα Γερόντων, αββά Αντωνίου* 5, *PG* 65, 7.

نتغلّب على أهوائنا ولم ننجح، فلا يجب أن نيأس أبداً. بل حتى وإن جاهدتَ محاولاً لألف سنةٍ لكي تتخلّص من هوىً ولم تنجح، فإنّ الله سيقبل جهادك، لأن ليس المهمّ مقدار ما يحقق المرء وينجزه بل مقدار رغبته وشوقه وجهاده من أجل التغلّب على الهوى. نعم أنا إنسانٌ خاطئٌ لكنَّ الله لن يتخلّى عني.

فلا تخف إذاً ولا تقلق إن كنت اليوم خاطئاً. فاليوم نعم، أنا خاطئ، لكني لن أهجر إلهي الذي أترجى منه المساعدة. سيعيش في الكنيسة الخطأة والأبرار معاً، القديسون وغير القديسين. لكن من يعلم! فقد يسقط القديس غداً، بينما يجذب، من نظنّه نحن شريراً، انتباه الله ويتقدّس.

أتذكرون قول النبي إشعياء: "يسكن الذئب مع الحمل ويربض النمر مع الجدي"[1]. هكذا هي الكنيسة، نعيش فيها جنباً إلى جنب، الذئب مع الحمل. لا أنا أعرف ما أنت ولا أنت تعرف ما أنا، هذا يعرفه الله فقط. كما يقول السيد المسيح: "اتركوا الزؤان ينمو مع

[1] اش 11، 6.

الحنطة في حقلي حتى يوم الحصاد"[1]. ويتابع النبي قوله: "والعجل والشبل والمسمن معاً"[2].

في النهاية لا يهمّ كم من الأهواء لديّ، المهمّ هو رحمة الله التي لا تُدَرك. حاولَ أحد قدّيسينا أن يحصي ويكتب كلّ خطاياه فسجّل 300 هوىً. لديه. 300 هوى! كاد يجنّ... لكنه أدرك أنّ الأهواء يمكن عدّها مهما كانت كثيرةً، أما رحمة الله فلا يمكن تقديرها ولا سبر غورها[3]. ولا يجب أن تغيب عنّا حقيقةٌ هامةٌ جداً، وهي أني لست أنا من سيتغلّب على الهوى، بل الله وحده هو مَنْ سيتغلّب عليه، كثيراً ما نقول: "آهٍ يا إلهي، كيف سأتمكّن من التخلّص من هذا الهوى؟". لكن لستَ أنت من ستتخلّص منه، بل الله هو الذي سيخلّصك منه[4]. القوة الإلهية هي وحدها القادرة على قلع جذور

---

[1] مت 13، 30.

[2] اش 11، 6- 7.

[3] Πέτρου Δαμασκηνού, *Δήλωσις των παθών, Φιλοκαλία*, τ. Γ΄, σσ. 107- 108.

[4] رو 9، 16.

الخطيئة والأهواء، كما يقول أحد القديسين[1]. عليك أنت فقط أن تجاهد، لكن ليس لتتخلّص من أهوائك، إنما لكي تعبّر عن محبتك لله. نحن لدينا خطايانا، أما هو فلديه معجزاته.

كثيراً ما نصرخ إلى الله ونظنّ أنه لا يسمعنا فنقول أين أنت يا الله، أين تختبئ؟ قد يبدو أنّ الله لا يسمعنا أو أنه نائمٌ، كما كان نائماً ذات مرّةٍ مع تلاميذه، لكنه في اللحظة المناسبة نهض وانتهر الريح وقال للبحر: "اسكت، إبْكَم"[2]. الأمر نفسه يحدث معنا، ففي اللحظة المناسبة سيأتي الله ويقول للهوى: "اهدأ".

* * *

ماذا علينا أن نفعل إذاً لكي يساعدنا الله لنتحرّر من أهوائنا؟ أي لكي ينحني الله إلينا ليقطع هو أهواءنا؟

أولاً، وكما سبق وذكرنا، علينا بالهدوء. وقد يقول أحدهم: "الهدوء! إنه للرهبان فقط، أما أنا فأعيش وسط العالم، من أين يأتي الهدوء، متطلبات الحياة وحاجاتها الكثيرة وصعوباتها تجعل الهدوء أمراً

---

[1] Μακαρίου Αιγυπτίου, *Ομιλία πνευματικαί* 3, 4, *PG* 34, 469CD.

[2] مر 4، 38- 40.

مستحيلاً. هل أتخلّى عن عملي وأتجاهل متطلبات أولادي وعائلتي؟". بالطبع لا، كلّ ما عليك فعله هو أن تخصّص جزءاً من وقتك لتكون فيه هادئاً، أنت والله فقط. كلّما أحببت الهدوء أكثر كلّما استطعت أن تحبّ الله أكثر. الإنسان المتعب دوماً والكثير الانشغالات سيعجز عن أن يحبّ الله، بل حتى أنه سيعجز عن فعل أيّ شيءٍ. وكما أنك عندما تشاهد التلفاز، تتعلّق أنظارك به وتنسى كلّ شيءٍ، هكذا أيضاً حاول أن يتعلّق نظرك بالله وبملائكته وبقدّيسيه. الأمر ليس مستحيلاً، لأنّ عشر دقائق في اليوم، ربما قبل أن تنام، تكون كافيةً لتخمّر النهار كلّه. خصّص وقتاً يكون لله فقط، اجلس "ووجّه قلبك للفهم"[1]، وضع عقلك داخل قلبك.

أودّ هنا أن أذكر حادثةً جرت مع إحدى العائلات التي كانت تمرّ بأزمةٍ وكانت على وشك الانحلال. كان التعبُ قد بلغَ بالزوجين مبلغه نتيجة مشاغل الحياة، لدرجة أنه لم يكن لديهما حتى خمس دقائق للراحة أو لتبادل كلمات المحبّة أو لتذكّر أحلامهما وأمانيهما التي وضعاها عندما بدأا حياتهما. اتصلتُ بهما وحاولتُ

[1] انظر: دا 10، 12.

مساعدتهما لكنني لم أستطع، خاصةً أنني كنت أعيش بعيداً عنهما، ولأنّ عذرهما كان دوماً أنه لا يوجد لديهما متسعٌ من الوقت للحديث. تذكّرتُ أنَّ الزوجة كانت تعاني من ألمٍ في أسنانها فخطرت في بالي فكرةٌ، أخبرتها أني أعرف طبيبَ أسنانٍ ماهراً يسكن بالقرب منها وشجعتها أن تذهب وتعالج أسنانها لديه. في الوقت نفسه كنتُ قد اتصلتُ بالطبيب وأخبرته أن يفحص لها أسنانها بعنايةٍ فائقةٍ وأن يبقيها لديه أطول وقتٍ ممكن. هكذا وبعد إلحاحٍ شديدٍ من قِبَلي، اقتنعت الزوجة بالذهاب إلى الطبيب. بقيتْ عنده مدّة ست ساعات، حاول خلالها أن يفعل كلّ ما يمكن لطبيب الأسنان أن يقوم به من فحصٍ وتنظيفٍ وحشوات... ويا للمفاجأة، فحالما عادت إلى بيتها أسرعت إلى زوجها وعانقته... ما الذي حدث؟ ما الذي تغيّر؟ لقد كانت بحاجةٍ إلى هذه الساعات لترتاح أعصابها من ضغوطات العمل... في البداية كانت تفكّر بأسنانها وبأنها تتألم، لكنها بعد ساعةٍ أخذت تستعيد ذكرياتها وتراجع نمط حياتها وأسلوبه، بكلامٍ أوضح عادت إلى ذاتها، اغرورقت عيناها بالدموع لكن ليس بسبب الألم...! وهكذا عاد الزوجان وتصالحا. هل يا ترى نحن أيضاً بحاجةٍ لطبيب أسنانٍ لكي نعود إلى ذواتنا؟ لا يا إخوتي،

فلنتعلّم أن يكون لنا وقتاً خاصاً نخصّصه لله فقط، لنعيد حساباتنا ونجدّد حياتنا ونقوّم علاقتنا مع الله.

ثانياً، ولكي نستميل عطف الله يلزمنا أن نجاهد، أن نصوم قليلاً، أن نصلّي أكثر... أو ربما نحاول أن نكرّس وقتاً من مساء كلّ يومٍ، أو يوماً كلّ شهرٍ لنقرأ فيه حياة قديسٍ مثلاً. لا أقوم بالنسك لكي أعذّب جسدي، إنما لكي أقول لله أني أحبه وأني إنسانٌ خاطئ. النسك هو اللغة التي نتكلّم بها مع الله. جميعنا لدينا من الهموم والمشاكل والصعوبات ما يكفينا، فلنسلّمها إلى الله وهو سيرفعها عنا. يكفي أن نقدّم نحن قليلاً من النسك والجهاد، وكلّها ستزول مثل الدخان[1]، وستتلاشى كلّ الهموم.

أما الأمر الثالث فهو صلاة يسوع. أحبّوا هذه الصلاة لأنها تملؤنا من الله. يا ربي يسوع المسيح ارحمني أنا الخاطئ.

عندما نقول "يا ربي"، نعترف أنّ المسيح هو الربّ، هو ملك السماء والأرض، وهو ملك قلبنا.

[1] مز 67، 3.

"يسوع"، كلمة تعني مخلّصي، بهذا أعبّر عن رجائي، عن إيماني وعن محبتي. كما لو كنت أعانقه وأقول له، كلُّ شيءٍ يعود لك يا يسوعي.

بـ "المسيح"، أؤكد عن إيماني بألوهيته. أومن أنّ المسيح هو إنسانٌ وإلهٌ أيضاً.

"ارحمني أنا الخاطئ"، بهذه الجملة أعبّر عن كلّ ما أحتاج إليه. نعم أنا خاطئ، وحتى لو كنت أقول هذه الكلمة بفمي فقط، إلا أنّ الله سيقبلها مني لأنه كليُّ الصلاح.

إنّ صلاة يسوع تُتحِدني بالله. أخاطبه "يا ربي يسوع المسيح" كما لو أني أراه وهو أمامي. عندما أردّد هذه الصلاة فإني أسلّم لله كلَّ حياتي وكلَّ كياني، كما لو أني أعود وأدخل في جرن المعمودية، هكذا أدخلُ إلى كيان الله إنساناً وأخرج إلهاً مثله، أما هو فإلهٌ بحسب الطبيعة وأما أنا فبالنعمة.

إذاً، إذا ما طبقنا هذه الأمور الثلاثة في حياتنا، ستزول أهواؤنا بمعونة الله القادر على كلّ شيء. وتذكّروا أنه عندما تبقى أهواؤنا داخلنا فإننا بذلك نظلم الله، كما لو كنا نؤمن أنّ الله غير قادرٍ على غلبتها. لا، فالله قادرٌ، ما علينا سوى أن نسلّمها إلى يديه

محاولين بالطرق الثلاث التي ذكرناها، وعندها ستتحوّل حياتنا إلى قيثارةٍ ذات عشرة أوتارٍ ستعزف بفرحٍ وتغرّد وترتّل لمجد السماوات وستعظّم الإله المثلث الشموس الجالس على الشيروبيم والسيرافيم.

هذا هو يا أحبتي جهادنا للتطهر من الأهواء. وهو سهلٌ وبسيطٌ جداً، لكن إن بدا لك الأمر صعباً، ثقيلاً ومتعباً فتذكّر أنّ المسيح هو "عريس دمٍ"[1]. المسيح هو عريسنا، لأنّ الكنيسة بالمعمودية جعلت كلّ مسيحيّ عروساً له. هكذا يقول الرسول بولس[2]، وبهذا يؤمن الآباء، المسيح هو عريس نفوسنا، ويسميه الكتاب المقدّس "عريس دمٍ". العريس مزينٌ بإكليله، وإكليل السيد هو دمه. فإذا كان السيد "عريس دمٍ" فلماذا لا تكون نفوسنا بدورها "عروس دمٍ" له!

* * *

[1] خر 4، 24- 26.

[2] انظر: 2كور 11، 2.

منشورات دير سيّدة البشارة– حلب

- **سيرة القديس لوقا المعترف**، ترجمة راهبات دير سيّدة البشارة، 2005.
- **مَصَاعِدُ القَلْبِ**، تأمّلات في المزامير، للمطران بولس يازجي، 2006.
- **بُرْجٌ وجَسَدٌ**، (**الجزء الأول**)، عظات في رسائل الآحاد والأعياد، آحاد ما بعد العنصرة، للمطران بولس يازجي، 2006.
- **بُرْجٌ وجَسَدٌ**، (**الجزء الثاني**)، عظات في رسائل آحاد التريودي والبندكستاري والأعياد الثابتة، للمطران بولس يازجي، 2006.
- **الإحسان– في المحبّة وحياة الشركة** (أقوال آبائية)، ترجمة راهبات دير سيّدة البشارة، 2007.
- **الستارتس زخريا**، ترجمة راهبات دير سيّدة البشارة، 2007.
- **دليل الواعظ**، كتاب دراسي في تاريخ الوعظ، للمطران بولس يازجي، 2007.
- **القديس إغناطيوس الأنطاكي المتوشّح بالله**، إعداد راهبات دير سيّدة البشارة، 2008.

- **عنصرة العصرنة**، مقالات دراسية، للمطران بولس يازجي، 2008.
- **السائحان** (**الجزء الثاني**)، للمطران بولس يازجي، 2008.
- **القديس سمعان المفيض الطيب**، ترجمة راهبات دير سيّدة البشارة، 2009.
- **الناسك الحبيس– البارة ذوسيثيا**، ترجمة راهبات دير سيّدة البشارة، (الدراسات اللاهوتية والثقافية)، 2009.
- **الربّ قريب، قصص رهبانية من الجبل المقدّس**، ترجمة راهبات دير سيّدة البشارة، (الدراسات اللاهوتية والثقافية)، 2009.
- **مسؤولية المحبّة**، ترجمة راهبات دير سيّدة البشارة، (الدراسات اللاهوتية والثقافية)، 2010.
- **كلمات ذهبية**، إعداد الشبيبة والبشارة– مطرانية حلب للروم الأرثوذكس، (الدراسات اللاهوتية والثقافية)، 2010.
- **حياة الجماعة للأم ثيوسيمني**، ترجمة راهبات دير سيّدة البشارة، (الدراسات اللاهوتية والثقافية)، 2010.

- **من صفحات الحياة،** إعداد الشبيبة والبشارة- مطرانية حلب للروم الأرثوذكس، (الدراسات اللاهوتية والثقافية)، 2010.
- **استيقظ يا فؤادي، كتاب الصلوات والأناشيد لكافة المراحل،** إعداد الشبيبة والبشارة- مطرانية حلب للروم الأرثوذكس، (الدراسات اللاهوتية والثقافية)، 2010.
- **قديسون من إنكلترا،** إعداد الشبيبة والبشارة- مطرانية حلب للروم الأرثوذكس، (الدراسات اللاهوتية والثقافية)، 2010.
- **قوّة اسم يسوع،** (صلاة يسوع في التقليد الأرثوذكسي)، ترجمة المطران بولس يازجي، (الدراسات اللاهوتية والثقافية)، 2010.
- **الروح القدس،** ترجمة راهبات دير سيّدة البشارة، (الدراسات اللاهوتية والثقافية)، 2010.
- **مجد الشهيد،** ترجمة راهبات دير سيّدة البشارة، (الدراسات اللاهوتية والثقافية)، 2010.